الزندقة وأثرها على الفكر الإسماعيلي

د. عمر محمد مرشد
أستاذ المناظرات الدينية المساعد في الفكر الإسلامي

الملخص

يهدف هذا البحث الى دراسة نشأة الزنادقة وأفكارهم وبدايات تأثيرهم في الوطن العربي. وجمع المعلومات المتناثرة في هذا الموضوع وترتيبها وتحليلها بحيث يستفيد منها القارئ بسهولة ويسر. والكشف عن مدى تأثير فكر الزندقة في الفكر الإسماعيلي. وقد توصل الباحث الى ان الزندقة مصطلح فارسي يطلق على مذهب القائلين بدوام الدهر من أصحاب زرادشت، والزندقة نوعان ثنوية ودهرية ومن اهم فرقه: الزرادشتية والمانوية، والمزدكية. وقد وضح تأثر الإسماعيلية بالزندقة في: الإمامة، والقول بالحلول وتناسخ الأرواح. والايمان بإلهين هما: السابق والتالي "العقل والنفس". واستباحة الأموال والنساء والخمر وشهادة الزور والدماء. وادعاء أبي الخطاب النبوة لنفسه وللائمة من بعده.

المقدمة

لم تخل أي دعوة من الدعوات على مر التاريخ، من معارضة وزنادقة ظاهرين ومتسترين.

وهؤلاء الزنادقة كانوا يتفقون في محاربة دعوة كل نبي ورسول، إلا أن الأسلوب يختلف من زمن إلى آخر لذلك فقد تنوعت فرق هؤلاء وتشعبت، وانتهج كل فريق لنفسه أسلوباً معيناً في تفكيره وتحليله لمعتقد الآخر.

وبالرغم من كثرة تعدد الفرق والمعتقدات، إلا أنهم جميعاً يلتقون بهدف واحد، وهو التشكيك ومحاربة الأخر، لأنهم ينتهجون عقائد واهية لا تقوم على وحي منزل من السماء، ولا تستند إلى العقل الناقد الذي يقيم معتقداته ونظرياته على أسس من المنطق والبرهان، ولكنها تعتمد على مناهج وضعية من صنع البشر، تتغير وتتبدل بتغير الزمان والمكان.

أما في العصر الحديث: إذا كانت أفكار ومعتقدات الزنادقة تطل برؤوسها من جديد بتغيير الأساليب واللعب، وتحاول أن تتلمس لها طريقا جديداً إلى العقول والقلوب فتنتهز حرية البحث والتعبير، وبالدعوة إلى التقارب والتعايش والتسامح بين الأديان والفرق والمذاهب، من أجل أن تغرس سمومها في فكر ومعتقد المسلمين الذين انشغلوا بمشاكل الحياة وهموم القتل والتنكيل، بما غرسته الزندقة والزنادقة ومن سار على نهجهم في هذه الأمة.

أهمية البحث ومبرراته:

وهناك جملة من الأسباب والمبررات دعت الباحث للخوض في هذا الموضوع، منها:

1. كثرة تردد مصطلح الزندقة في التاريخ العربي والإسلامي.
2. التداخل بين العرب وشعوب الشرق، لاسيما، إيران وبلاد فارس.
3. كثرة المناظرات بين المفكرين الإسلاميين والزنادقة في عصر ازدهار غلاة الفكر الباطني.
4. وجود تشابه بين الفكر الإسماعيلي والزندقة؛ مما يعني تأثر الفكر الإسماعيلي بالزندقة التي سبقته بالنشأة والأفكار.

أهداف البحث:

1. دراسة نشأة الزنادقة وأفكارهم وبدايات تأثيرهم في الوطن العربي.
2. جمع المعلومات المتناثرة في هذا الموضوع وترتيبها وتحليلها بحيث يستفيد منها القارئ بسهولة ويسر.
3. الكشف عن مدى تأثير فكر الزندقة في الفكر الإسماعيلي.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي في هذا البحث مستفيدا من المنهج التاريخي في تتبع ظهور الزندقة وتأثيرها على الفكر الإسماعيلي. **وبنا على ذلك** تم تقسيم البحث إلى فصلين وكل فصل على ثلاثة مباحث.

الفصل الأول: الزندقة والزنادقة ومراحل تطورها.

المبحث الأول: تعريف الزندقة.

الزندقة بمعنى الضيق وقيل الزنديق: هو الذي ضيق على نفسه وهو الذي لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق[1]والزنادقة: هم المانوية وكان المزدكية يسمون بذلك، ومزدك هو الذي ظهر في أيام قباذ وزعم أن الأموال والنساء مشتركة[2].

والزنديق: هو من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة، أومن لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان[3]وقيل الزندقة: من لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق، وقيل المنافق وقيل الزنديق معناه الملحد والدهري، والزنديق: هو الذي يظهر الإسلام ويبطن العقائد التي هي كفر.

والزنادقة: هم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر للعالم، وزعموا أن العالم لم يزل كذلك بلا صانع، وكذلك يكون زنادقة، وزناديق: المشهود على السنة الناس أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة، ويقول بدوام الدهر، والعرب تعبر عن هذا بقولهم ملحد، أي: طاعن في الأديان[4].

والزنديق من الثنوية، وهو معرب، والجمع الزنادقة، والهاء عوض من الياء المحذوفة[5].

أما العرب: فقد أثروا عليها مصطلح الإلحاد، وهو أكثر تعبيراً وليس صحيحا أن الزندقة موقف فكري متحرر، لأن الذين عرفوا بالزندقة لم يكونوا كذلك، وكانت لهم تبعيتهم الفكرية، وكانت مواقفهم فردية، فلم يحدث أن كانت الزندقة حركة جماعية تحررية كما يقول البعض[6]بل هم الذين رفضوا تعاليم الأديان الإلهية بحجة تحرير الفكر[7] من هذا كله يظهر أن كلمة الزندقة لم تكن ذات معنى واحد وإنما تطلق على عدة معاني:

1- التهتك والاستهتار والفجور يصل إلى ما يمس الدين.

2- إتباع دين المجوس، وخاصة إتباع دين ماني مع التظاهر بالإسلام.

3- ملحدون لا دين لهم، وأكثر ما كانت تطلق على من اعتنق المانوية باطناً والإسلام ظاهراً[8]

والزنادقة: هم الذين ينكرون الصانع والأنبياء والأئمة ويظهرون الكفر والزندقة[9].

والزندقة نوعان: زندقة ثنوية وهي القول بالنور والظلمة ومنها الزرادشتية، المانوية، المزدكية. وزندقة دهرية: وهي قول من يؤمن بالدهر لقوله تعالى: "**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (24)**" [10].وهم قوم أنكروا الخالق والبعث والإعادة وقالوا: "بالطبع المحيي والدهر المفني" [11].

المبحث الثاني: أصل الزندقة.

أصل الزنديق: من الثنوية وهو معرب، والجمع الزنادقة، والاسم الزندقة[12] وهو في الأصل منسوب إلى زند اسم كتاب أظهره مزدك في أيام قباذ وزعم أنه تأويل كتاب المجوس الذي جاء زرادشت لأنهم يزعمون أنه نبيهم[13].

وقيل إن أصل اسم الزندقة، بهذا اللفظ ظهر أيام ماني، وأول من أطلق كلمة الزنديق بهذا اللفظ هم الفرس، لأن اسم الزندقة أضيفت إليه الزنادقة، وذلك أن الفرس حين أتاهم زرادشت بن اسبيمان بكتابهم المعروف بالبستاه[14] وعمل له التفسير وهو الزند وعمل بهذا التفسير شرحاً سماه البازند، وكان الزند بياناً لتأويل المتقدم المنزل، وكان من أورد في شريعتهم بخلاف المنزل الذي هو البستاه، وعدل إلى التأويل الذي هو الزند[15].

قالوا: هذا زندي فأضافوه على التأويل وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى التأويل بخلاف التنزيل، فلما جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس وقالوا: زنديق وعربوه، والثنوية هم الزنادقة ولحق بهم سائر من اعتقد القدم، وأبى حدوث العالم[16]، ولقد عرف العرب هذه اللفظة عن طريق الفرس، لأن ماني الثنوي الزنديق صاحب القول بالنور والظلمة قد ظهر في أيام سابور، فاتبعه قليلاً ثم رجع إلى المجوسية دين آبائه، ولما جمع بهرام بن هرمز الناس لامتحانه فأشادوا بكفره وقتله وقالوا زنديق[17] وأن كلمة زنديق كثيرا ما يوصف بها أتباع ماني ومعتنقي مذهبه، وليست كلمة عامة تطلق على كل كافر أو ملحد، وإن كلمة زنديق في الأصل معناها بالفارسية الذي يتبع زند، ثم أطلق على المانوية، لأنهم كانوا

يأخذون زند وغيره من الكتب المقدسة ويشرحونها على مذهبهم بطريقة التأويل[18].

والأصل اللغوي للكلمة فارسي، وربما من زندي، أي الدهري، فالزنادقة هم إذن الدهرية، وربما الكلمة من الفارسية زندين، أي الذي يتأول النصوص ويخرج عن معانيها[19].

المبحث الثالث: الفرق القديمة للزندقة:

لمعرفة الزنادقة، لابد من التعرف على عدة شخصيات مهمة ودعامات أساسية لهذه الفرق، وعلى رأسها: زرادشت، ماني، مزدك.

وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاث فرق رئيسة هي:

1) الزرادشتية:

هي ديانة فارسية قديمة تنسب إلى زرادشت، وقيل إن ظهورها كان في القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد، أو في القرنين السادس أو الخامس قبل الميلاد وفي رأي آخر أنه انتقل إلى فلسطين وتتلمذ على أنبياء بني إسرائيل من تلاميذ أرميا، ولكنه لم يطمئن إلى اليهودية فعاد إلى الأديان الفارسية[20] وقد اختلف الباحثون حول القرن الذي ولد فيه زرادشت، لكن الذي عليه الأمر أن زرادشت قد ذاع وازدهر في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، والرأي الذي عليه أكثر الباحثين أنه ولد سنة 660ق.م وهو ما يبدو أصح التقديرات[21].

ويرى أتباعه أن أمه قد حملت به حملاً إلهياً قدسياً؛ ذلك أن الملاك الذي كان يرعاه تسرب إلى نبات الهوما، وانتقل مع عصارته إلى جسم كاهن حين كان يُقرِّب القرابين المقدسة، وفي نفس الوقت دخل شعاع من شعاع العظمة إلى صدر فتاة تزوجها ذلك الكاهن وامتزج الملاك والشعاع فنشأ من هذا المزيج[22] وعندما بلغ زرادشت السابعة من عمره أرسله والده إلى الحكيم "بورزين" ليتعلم منه، وظل زرادشت معه ثمانية أعوام، يدرس العلم، ويتعلم الزراعة وتربية الماشية، وعلاج المرضى، وقد أظهر قوة حافظة، وحسن التلقين للدرس والمعرفة، وكان عمره خمسة عشر عاما، تطوع زرادشت لمعالجة المرضى والجرحى، وخدمة الفقراء من أبناء وطنه[23] وأحب زرادشت الحكمة والصلاح، وأثر العزلة فهجر قومه، وذهب بعيدا عن الناس، وكان طعامه من ثمار الأرض[24] وبين التعليم والعزلة، جال زرادشت بفكره وعقله في هذا الكون، باحثا عن الحقيقة، عساه أن يهتدي إليها، وأخذ يتساءل من أين تجيء كل هذه الشرور إلى العالم؟ وراح يتمنى أن لو عرف مصدر ذلك العناء، لاستطاع أن يحقق حلمه في جعل الناس سعداء ؟ وظل زرادشت يفكر فوق جبل سبالان، ويحاول أن يفهم سر هذا العالم[25].

ومهما يكن من أمر فإن زرادشت ظهر في بلاد فارس ونشر دعوته فيها، وأول نجاح ناله هو دخول أمير إيراني عظيم يدعى كشتاسب، فأعجبه ما سمع، ودخل هو وحاشيته في دين زرادشت، عرف

بشدة التعصب له، والإخلاص في الدفاع عنه، والقتال في سبيل انتصاره، وهكذا ولد الدين الزرادشتي[26].
ولقد ظهر زرادشت بدعوته أيام الملك كشتاسب، وكان أكبر الآلهة هورامزدا وهو الإله الأعظم، وهو قديم أزلي مجرد من كل شوائب المادة، وهو قوة الخير، وأهرمان هو قوة الشر[27].وعندما شاهد زرادشت هذه الألهة البدائية، والطقوس والممارسات لتلك الآلهة ويقربون لهما القرابين، أعلن في شجاعة أن ليس في العالم إلا إله واحد هو هورامزدا إله النور والسماء وأن غيره من الآلهة ليست إلا مظاهر وصفات من صفاته[28]. ولزرادشت كتاب مقدس للدين الجديد وهو مجموعة الكتب التي جمع فيها أصحاب النبي ومريدوه أقواله وأدعيته، وسمى إتباعه المتأخرون الأبستا "الأبستاق" [29] ومعجم هذا الكتاب يدور على ستين حرفا من أحرف المعجم، وأتى بلغة يعجزون عن إيراد مثلها، وكتب في اثني عشر ألف مجلد بالذهب، فيه وعد ووعيد، ونهى وأمر، وغير ذلك من الشرائع والعبادات[30] والمشهور من تعاليمه أن كان يقول: إن للعالم أصلين أو الهين: أصل الخير وهو "هورامزدا" وأصل الشر وهو "أهرمان" وهما في نزاع دائم ولكل من هذين الأصلين قدرة الخلق[31] كما يعتقدون.

لأنه يعتقد أن "هورامزدا" هو الأله الأوحد عند زرادشت، وهو الذي لم يلد ولن يموت، ويعتقد بأنه المصدر الأول لجميع الموجودات وهو روح الأرواح لا يرى ولا ينظر رغم وجوده في كل مكان، لأنه يعلم الماضي والحاضر والمستقبل[32].

ولما شاع مقتل زرادشت، أقسم الملك كشتاسب على الإنتقام ممن قتلوا النبي "زرادشت" ولم يدعهم إلا بعد أن وعدوه باعتناق عقيدة زرادشت[33]، وكان زرادشت قد قتل وعمره سبعة وسبعون عاما، وبقتله قويت حمية الدعاة الزرادشتيه، وقد ولي مكانه "خاناس العالم" وكان من أهل أذربيجان وكان أول موبذ[34] بعد زرادشت، نصبه لهم الملك كشتاسب[35]

لم تتوقف الحياة بقتل زرادشت بل استمرت تحمل نفس المنهج والفكر الذي غرسه في نفوسهم، ولكنه لم يكن إلها لأنه بشر، ولا رسولاً وإنما هو مصلح اجتماعي، لأن الإله لا يموت، والرسول تبقى معجزاته خالدة للبشرية، والفكر الزرادشتي لم ينته بعد، فما زالت بعض المجتمعات متمسكة به، إلى عصرنا الحاضر، مثل: إيران والهند وغيرهما، ولا تزال فكرة زرادشت حية في مصادرها المقدسة لديهم.

ولقد اشتهر الفرس بأنهم ميالون إلى عبادة المظاهر الطبيعية: السماء، الضوء، النار، الهواء، الماء وهذه المظاهر جذبت أنظارهم وجعلتهم يعبدونها على أنها كائنات إلهية، حتى سمو الشمس "عين الله" والضوء"ابن الله" كما أن الظلمة والنور ونحوهما كائنات شريرة[36].

2) المانوية:

نسبة إلى ماني بن فاتك مؤسسها، ولد سنة 216م بجنوب بابل[37] وهو فيلسوف فارسي أحدث ديانة بين الديانتين الزرادشتية والمسيحية، تقوم على الثنوية[38]، والزهد في الوجود، وتعجل الفناء[39]

والمانوية فرقة غنوصية مسيحية، وأهم أركانها قولها بالثنائية، أي بإله النور وإله الظلام، وتختلط بالتعاليم اليهودية والمسيحة والبوذية والزرادشتية[40] ولقد لقي ماني كثيراً من الاضطهاد، وكان له أثر كبير في الآراء الدينية التي كانت مزيجاً من المعتقدات الأخرى[41]، وكان القلم الذي يكتب به الديانات مستخرج من السرياني والفارسي [42].

وقد نشأ ماني زاهداً متعبداً، وقال إن امتزاج النور بالظلمة في هذا العالم شر، وحرم النكاح حتى يستعجل الفناء، وشرع الصيام سبعة أيام في كل شهر، وفرض صلوات كثيرة ونهى عن ذبح الحيوان، وقال أنا النبي الذي بشر به عيسى عليه السلام[43].

ويعتقد ماني أن العالم نشأ عن أصلين وهما: النور والظلام، وصاحب النور هو الله وصاحب الظلام هو الشيطان، والله هو مصدر كل خير والشيطان رب الظلام ومصدر كل شر، وأن النور والظلام يوجدان في الإنسان نفسه، وزعم أن النور لا يقدر على الشر، والظلام لا يقدر على الخير[44].

وإنه لما انتشر أمر الفرس وقوي في بلاد فارس، في أعقاب الدولة الأموية، عاد العرب إلى بلادهم ولحقوا بخراسان خوفا على أنفسهم، ومن بقي منهم ستر أمره، وقد قلوا في الأماكن الإسلامية، بعد أن كان نشاطهم قويا أيام الدولة الأموية، وتضاءل بعد ذلك نتيجة ملاحقتهم[45].

وقد ألف المانوية كثيرا من الكتب لنشر مبادئهم وإظهار مذهبهم ومن أهم هذه الكتب "سفر الإسرار" الذي يطعن فيه على آيات الأنبياء "سفر الجبابرة" "وكتاب الشابرقان" والذي يصف فيه أن ملك عالم النور في كل أرضه، لا يخلوا منه، وأنه ظاهر باطن "وسفر الأحياء" ورسائل أخرى[46].

والمانوية يزعمون بتناسخ الأرواح، ويعتقدون أن الأرواح نوعان: أرواح الصديقين وأرواح أهل الضلالة، فأرواح الصديقين إذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح إلى النور الذي فوق الفلك فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم، أما أروح أهل الضلالة إذا أرادت اللحوق بالنور ردت منعكسة إلى أسفل[47].

لقد ظهر ماني في زمن سابور بن اردشير بن بابك، وادعى النبوة، فلما انتهت نوبة الملك إلى بهرام أخذ ماني وسلخه وحشا جلده تبناً وعلقه، وقتل أصحابه إلا من هرب والتحق بالصين ودعوا إلى دين ماني[48].

3) المزدكية:

المزدكية: نسبة إلى مزدك المولود في نيسابور سنة 487م، وكان مانوياً، لكنه انشق على ماني، وقال بثلاثة أصول للعالم بدلاً من أصلين هم: الماء والنار والأرض، وأمر أتباعه أن تكون ملكية النساء والأموال مشاعة[49]، ويقال إنها نسبة إلى مزدك صاحب الثنوية، الذي استباح الأموال والفروج[50] وكان إباحياً معتقداً أن كل ما كان ملكا لله يعتبر مشاعا بين الناس، لا يختص به أحد دون آخر، واتبع بعض

الناس مزدك في هذا الاعتقاد[51] وقد أباح النساء والأموال لأنها سبب المخالفة والمباغضة، وحرم ذبح الحيوان وقال: يكفي في طعام الإنسان ما تنبته الأرض، والمزدكية وافقت الزرادشتية وأتباعها[52] وأحل مزدك النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلا، وحكى عنه أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمه[53].

وقد ادعى النبوة[54] وتختلف المزدكية عن المانوية بأنها أي "المزدكية" تعتبر النور يعمل بالقصد والاختيار، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق، والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى، وأن المزج بين النور والظلمة كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار[55] وكان أهم ما امتاز به تعاليم مزدك عن الزنادقة الذين سبقوه، أن الناس ولدوا سواء فليعيشوا سواء وأهم ما تجب فيه المساواة المال والنساء[56].

ومزدك ظهر أيام قباذ بن فيروز والد أنوشروان، ودعاه إلى مذهبه فأجابه، وأطلع على خزيه وافترائه فطلبه فوجده فقتله[57] وكان سبب قتله لأنه ألزم قباذ والد أنوشروان أن يبعث زوجته ليمتع بها غيره، لأنه يرى حلال زوجة غيره على نفسه، فتأذى أنوشروان فدعاه فناظره فقتله، لأنه أظهر له الإباحة وقتل كل من كان على دين الإباحة[58].

هذه هي عقيدة الفرس، التي ساروا عليها قبل الإسلام أما بعد الإسلام فكثيرا منهم أسلموا، أما تعاليم زرادشت وماني ومزدك فإنها ما تزال تظهر من حين إلى آخر بين المسلمين وبأشكال عديدة، وهي ما تزال لها وجودها في إيران والهند والصين وغيرها.

الفصل الثاني:
ظهور الزندقة والزنادقة وتأثيرها على الفكر الإسماعيلي

تمهيد:

ظهرت الزندقة والزنادقة قبل الإسلام، ووصل تأثيرها على بعض الفرق الإسلامية ومنها الإسماعيلية.

نتيجة لارتباط غلاة الشيعة بالفرس منذ نشأته الأولى، وخاصة إثر وقعة كربلاء بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما سنة 61هـ.

والصلة بين الإسماعيلية والفلسفات الوثنية الأخرى في اليمن، هو أن اليمن تقلبت بين العديد من الأقوام والأجناس، والملل والديانات؛ فهي تارة تدين للحبشة، وأخرى للفرس، وفي بعض الأحيان تدين باليهودية وأخرى بالنصرانية مما جعلها مضطربة من ناحية الدين والمعتقد(59).

المبحث الأول: ظهور الزندقة والزنادقة في العالم العربي والإسلامي

إن بلاد فارس قبل الإسلام، كانت تعيش في تخبط وصراعات فكرية كثيرة، لتعدد المعتقدات المجوسية فيها، ولكن بعد دخول الإسلام فارس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، دخل كثير من أهل فارس الإسلام، ولم يستطيعوا أن يقاوموا هذا الدين الجديد بالقوة، فلجأ البعض إلى الكيد للإسلام وأهله، وهذا ما صار عليه الزندقة والزنادقة على مر التاريخ.

وقيل إن الزندقة في العرب كانت في قريش أخذوها من الحيرة(60).

والحيرة تقع على نهر الفرات، قرب الحدود الفارسية، فقد تأثر أهلها لحد ما بحضارة فارس وثقافتها، ونقل أهلها بعض مظاهر هذه الحضارة إلى بلاد العرب، وكان أهل الحيرة يتكلمون العربية في معاملاتهم اليومية، كما كانوا يستعملون الفارسية في "كتاباتهم" فأدى ذلك إلى إغناء اللغة العربية بكثير من الألفاظ والمصطلحات الفارسية، مثل: الفرند أي السيف، والفردوس: وهي الجنة، وسجيل: أي الحجارة، وخندق وغيرها، كما انتقل كثير من فنون فارس الحربية إلى الحجاز عن طريق الحيرة(61).

وحين حكم الملوك الساسانيون بلاد فارس، أعادوا للدين الزرادشتي مكانته، ولقد أكرموا الكهنة وأقاموا نظام الحكم على أساس الدين، وكانت سلطة الكاهن الأكبر هي السلطة المسيرة والمسيطرة على شؤون الحكم ، وكل من يخرج عن سلطان الدولة فإن له العذاب الدائم على يد سلطة الكهنة، ظلت هذه الفكرة مسيطرة على عقول الفرس مدة أربعة قرون تقريبا، ثم أخذ الوضع يزداد سوء، فكثرت الضرائب، واستبد الكهنة بالحكم حتى أن الملوك أنفسهم كانوا يستدينون أموالاً طائلة من خزائن الهياكل(62) لأنهم كانوا ينظرون إلى ملوكهم كأنهم كائنات إلهية، وأن الله خصهم بالسيادة عليهم، وأيدهم بروح من عنده،

وأنهم ظل الله في أرضه، وللملوك السمع والطاعة وهو ما عرف بنظرية الحق الإلهي[63].

وكان اتصال العرب بالفرس وتأثرهم بدياناتهم عن طريق الحيرة، إبان خضوعها للحكم الفارسي، لأنه عندما توفي بختنصر أنضم الذين أسكنهم الحيرة من العرب إلى أهل الأنبار وبقيت الحيرة خراباً دهراً طويلا[64] ثم عمرت بعد ذلك بقدوم بعض القبائل العربية الذين قاموا بالخيام، وكان أول من ملك الحيرة من ملوك الساسانية سابور بن اردشير، ولم يكن لأحد قبله من آل ساسان حتى استقام العرب على طاعته[65] ثم ولى عمرو بن عدي عليهم، وأنزله الحيرة فجبا خراجهم وإتاوتهم واستبعدهم لسلطانه، وقبض أيديهم عن الفساد، وولى بعده ابنه امرؤ القيس بن عمرو بن عدي الذي هلك أيام الملك سبور ذو الأكتاف[66].

وكانت ولاية سابور ثلاثين سنة ثم هلك، ثم استخلف بعد موته ابنه هرمز ويعرف بالبطل، فملك سنة واحدة، وولى بعده ابنه بهرام بن هرمز، ولما ولي العهد قمع الناس لامتحانه، فأشادوا بكفره وقتله وقالوا زنديق[67].

وتولى الفرس حكم اليمن بعد القضاء على الأحباش بقيادة وهرز عام 575م من وراء سيف بن ذي يزن، ومن بعده ابنه معد يكرب، ثم بدأ كسرى بأطماعه على اليمن يعين ولاة معتبراً إياه فارسي[68].

وكان سيف بن ذي يزن، آخر ملوك حمير في اليمن، وانقضى ملك حمير فصارت اليمن بأيد عمال وملوك الفرس[69] وعندما علم كسرى بمصرع سيف بن ذي يزن وابنه، خرج إلى أرض اليمن ومعه أربعة آلاف من الفرس، لكي يستأصل من بقي في اليمن من الأحباش[70] والفرس طمعوا في ملك اليمن لأهميته الاقتصادية، فعمدوا إلى التخلص من سيف بن ذي يزن، واستطاع الفرس ضم اليمن إلى حوزتهم، وأصبحوا يسيطرون على الطريق البحري التجاري إلى الهند عبر البحر الأحمر، كما سيطروا على الطريق البري، وطريق الحجاز[71] وما زالت مطامعهم في اليمن حتى العصر الحاضر، تروج عبر من يواليهم في المعتقد "الديني" الشيعي.

والملوك الساسانيون كانوا يعينون ولاة في اليمن، أشخاصاً من إيران ذاتها وليس من المحليين الموالين لهم، بسبب انخراط الأبناء في اليمن في الحياة الثقافية للمجتمع الإسلامي، ومن بين الأبناء خرج أوائل الشعراء اليمنيين الذين ألفوا وكتبوا باللغة العربية، ومنهم وضاح اليمن، ووصلت تأثيرات الشعر الفارسي إلى الشعر العربي العائد إلى العصر الجاهلي[72] والدولة الساسانية التي حكمت الفرس قبل الإسلام واستمرت من سنة 226 إلى سنة 651م، حين تسلمها العرب من أيديهم وحكموها ولاتهم، والدولة الساسانية هي التي كان لها الأثر المباشر في المسلمين من الناحية الدينية والأدبية جميعاً[73].

والزندقة ظهرت قبل الإسلام، ولكنها لم تنته بظهور الإسلام بل استمرت بفتن الزنادقة وحركاتهم بصورة سياسية ثم تغيرت إلى اتجاهات فكرية وعقائدية.

والدليل هو أن مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة 23هـ كان على يد أبو لؤلؤة المجوسي الذي كان يدعي الإسلام ويبطن الكفر[74] والمجوس حتى عصرنا الحاضر ما زالوا يحيون ذكرى مقتل أبو لؤلؤة المجوسي ويعظمونه.

وكان للزنادقة دور كبير في مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، لأنهم كانوا يثيرون الفتن والفوضى في المجتمع الإسلامي، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه قد حذر من الفتنة ولكنهم لم يسمعوا له وقتلوه وهو صائم يتلوا القرآن سنة 35هـ[75].

وبعد مقتل عثمان أخذت الزندقة تنتشر بين الجماعات الفارسية التي تريد الملك الفارسي، والذين أرادوا إحياء مبادئهم الدينية الفارسية داخل الدولة الإسلامية، وكانوا تارة يكشفون القناع عن مبادئهم، وأخرى يستخدمون أسلوب التقية لتمويه العامة.

ويحكى أن الجعد بن درهم كان مؤدبا لمروان بن محمد ولولده، فأدخله في الزندقة، وقد حبس خالد بن عبد الله القسري الجعد بن درهم وقتله يوم عيد الأضحى، وجعله بدلاً من الأضحية، بعد أن أعلن ذلك على المنبر في عهد هشام بن عبد الملك[76] وهكذا يعيد التاريخ نفسه بمساوئ الحكم الفارسي على الأمة العربية والإسلامية، وعن دور الزنادقة في ارتكاب جرائم القتل وعدم احترام شعائر ومشاعر المسلمين.

وبعد انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين رأى بعض الفرس أن ذلك لم يحقق مطالبهم، لأنهم كانوا يطمحون أن تكون الحكومة فارسية في مظهرها وحقيقتها وفي سلطتها ولغتها ودينها، ورأوا أن ذلك لا يتحقق والإسلام في سلطانه، فأخذوا يعملون لنشر معتقداتهم الزرادشتية والمانوية والمزدكية ظاهراً إن أمكن وخفية إذا لم يمكن[77].

وكان همهم الأول أن يتحرروا سياسيا لا دينيا، فكانت دعواتهم السرية واجتماعاتهم وتدابيرهم للسياسة لا للدين، والزندقة إنما هي في الدين لا في السياسة، فلما نجحوا واطمأنوا وغلبوا بدأت تلعب في رؤوسهم الديانات القديمة والجديدة[78]، فكانت سلاحاً يوجه إلى كثير من الأبرياء.

المبحث الثاني : أثر الزندقة والزنادقة في الفكر الإسماعيلي

أولاً: تعريف الإسماعيلية: سميت بهذا الاسم نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، الذي اختلفوا في موته، فمنهم من قال إنه لم يمت، إلا إنه أظهر موته خوفاً من خلفاء الدولة العباسية، ومنهم من قال إن موته صحيح، والأرجح إنه مات في حياة أبيه، لإبقاء الإمامة في أولاده دون غيره[79] ولقد كانت كلمة إسماعيلية في بادئ الأمر تدل على إحدى الفرق الباطنية المعتدلة، ولكنها مع تطور الزمن صارت حركة علمية تدل على أحزاب سياسية واجتماعية متعددة، وآراء فلسفية وعلمية متنوعة[80] والباحثون مختلفون

في الأصل التاريخي للإسماعيلية فمنهم من يرجعها إلى المجوس، ومنهم من ينسبها إلى الصابئة بحرَّان[81] ومنهم من يعود بها إلى منابعها الأولى من الفلسفة اليونانية[82].

ومن خلال البحث نعتقد أن كل الآراء والمعتقدات التي تسعى إلى هدم الإسلام، وتتسرب بنوع من التعاليم السرية والغموض تعود في حقيقتها إلى اليهودية والنصرانية والهندوسية والفارسية والأفلوطينية. فضلاً عن الزرادشتية والمانوية والمزدكية التي تعرضنا لها في بحثنا.

ويعتبر الإسماعيلية من أنجب التلاميذ الذين درسوا الفلسفة اليونانية، وأخذوا عنها الأفكار والنظريات، وطبقوها في مجتمعهم على أسس فلسفية عميقة الجذور، ذات أهداف مدروسة، استمدت زخمها من واقع البيئة والمجتمع[83] لأنها حركة فارسية مجوسية، كان القصد منها القضاء على النفوذ العربي، فالفرس لم ينسوا قوميتهم، بل حاربوا اللغة العربية حتى تمكنوا من القضاء عليها في موطنهم بعد أن كادت تحل محل لغتهم القومية[84].

إن الإسماعيلية كان اهتمامهم وصراعهم منصباً على الحكام السنة، ولم يوجه ضد الفرس أو الفرنجة أو التتار أو غيرهم[85] لأن الفرس لم يرضوا بالسيطرة العربية، وإبدال ثقافتهم بثقافة عربية، ولكنهم نزعوا إلى الاستقلال السياسي منذ العصور الإسلامية الأولى، ولما كان العرب أقوياء وبيدهم السيطرة والسلطان، والفرس غير قادرين على حربهم وإجلائهم عن بلادهم، لجأوا إلى قبول الإسلام، وفي نفس الوقت مقاومة السلطان العربي، بتأييد كل ثورة، والدعاية لكل مذهب جديد[86] وتأثرت الإسماعيلية بالزنادقة ومنهم: " الزرادشتية والمانوية والمزدكية " لأنهم هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق[87].

والإسماعيلية يعتبرون الإمام كالمولد الكهربائي الذي يشع نوره في المصابيح، ويعتبرونه في الظاهر إنه من البشر، وإنه خلق من طين، ويتعرض للأمراض والآفات والموت، وفي التأويلات الباطنية فيسبغون عليه بأنه " وجه الله"، و "يد الله"، و "جنب الله" ، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة، وهو الصراط المستقيم، والذكر الحكيم إلى غير ذلك من الصفات[88] والإمام هو الغاية الذي لا يبلغ في وقته وزمانه أحد منزلته ورتبته[89] و تأثرت الإسماعيلية بالمعتقدات الدينية، والفلسفية عند الفرس واليونان وغيرهم لأنهم أعطوا للإمامة مركزاً سامياً مقدساً، وجعلوا من الإمام مثلهم الأعلى[90] وآمن هؤلاء الزنادقة بالحلول والتناسخ، وأخذوا بعض تعاليمهم عن اليهود والنصارى، فاليهود شبهوا الخالق بالخلق، والنصارى شبهوا الخلق بالخالق، وهذه التعاليم اعتنقها الغلاة من الشيعة ومنها الإسماعيلية فنجدها حكمت بأحكام الإلهية في حق بعض الأئمة[91] كما تأثروا بالفلاسفة وقالوا: إذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به، وإنّا وإياهم مجمعون على نواميس الأنبياء وعلى القول بقدم العالم[92] لأن المجوس يدعون نبوة زرادشت ونزول

الوحي عليه من الله تعالى، والصابئون يدعون نبوة هرمس، وكل صنف من الفرق وأصحاب الديانات مقرون بنزول الوحي من السماء على الذين أقروا بنبوتهم[93] والإسماعيلية يعتقدون أن أنفس الأئمة كأنفس من دونهم، لأنها معصومة ثابتة، وتلك الأنفس علامة مؤثرة وغيرها متعلمة[94] ويرفضون المعجزات وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحي، ويزعمون أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس، والحيل طلبا للزعامة بدعوى النبوة، وذكروا النبي والوحي وقالوا أن النبي هو الناطق والوحي أساسه[95].

والإسماعيلية تعرف التوحيد: بأنه نفي الصفات وسلبها عن الله تعالى، لأن الله بالعرف الإسماعيلي لا يعقل ذاته عاقل، ولا يحس به محس، وتوحيده معرفة حدوده العلوية والسفلية[96].والحدود العلوية هي: السابق، التالي، الجد، الفتح، الخيال. الحدود السفلية هي: النبي، الوصي، الإمام، الحجة، الداعي.

وهنا فرضوا على كل إسماعيلي أن يعترف بهؤلاء الدعاة والحدود على أن يكون هذا الاعتراف من صميم العقيدة الإسماعيلية[97] التي تأثرت ببعض المعتقدات والأديان والفلسفات ، قبل وبعد الإسلام؛ لأن العقائد الإسماعيلية مزيج عجيب من مجموعة المذاهب والديانات والآراء الفلسفية القديمة، والإسماعيلية تأثروا بهذه الآراء والمعتقدات وأخضعوها لفكرتهم[98].

ولقد ذهب الإسماعيلية القدماء إلى القول بحلول اللاهوت في الأئمة، ولجئوا إلى القول بأن الإمام خلق من نور الله أو أن نور الله حل به، وقد انتشرت فكرة الحلول في فارس [99] والإسماعيلية يؤمنون بالتناسخ، وأرواح المؤمنين عندما تموت وتمتزج بالهيكل النوراني تعود بعدها إلى الأرض بأجسام أخرى، وتدخل الدعوة من جديد إلى أن تصل إلى مرتبتها فيها قبل موتها، أما أرواح المعاندين فتدخل في أدوار متكررة من العذاب تتقمص في كل دور سبعين قميصا[100]، والزرادشتيون يدعون حلول الإله في نبيهم زرادشت واليهود يزعمون حلول الإله في الإنسان، والنصارى يدعون حلوله في عيسى بن مريم عليهما السلام ، وغلاة الشيعة "الإسماعيلية" يعتقدون حلول الإله في سيدنا علي رضي الله عنه، وفي أئمتهم[101].

والإسماعيلية تأثروا كثيرا بالزنادقة وأخذوا من كافة المعتقدات والفلسفات التي توافق معتقدهم، والعقائد الإسماعيلية لم تكن موحدة، والدعاة أنفسهم مختلفين في آرائهم ومعتقداتهم، والمذهب الإسماعيلي لم يكن موحداً لأنه يختلف من بلد إلى آخر والسبب هو التأثر بمعتقد الآخر[102].

إن الحديث عن الزنادقة وتأثيراتهم على الإسماعيلية ليس حديثاً عن جماعة اندثرت، وأصبحت أثراً بعد عين، ولكن في الحقيقة إن هذا الأثر ما زال باقيا في هذا الفكر، يحافظ على مضمونه وحركته وغايته، ويجدد في الأشكال والأساليب والأسماء، ويروجون لفكرهم القديم، بصياغة جديدة ليظهر على أنه يمثل الفكر الحر، ويدعون إلى معتقدهم في الأماكن التي يجهل أهلها الإسلام.

المبحث الثالث: فرق الإسماعيلية وتأثرها بالزندقة والزنادقة

1) الخطابية:

أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع، وقد أدع أبو الخطاب الإمامة لنفسه، ثم زعم أن الأئمة أنبياء ثم آلهة، وقال بإلوهية جعفر الصادق، وإلوهية أبائه، ويقولون إن الإلوهية نور من النبوة، والنبوة نور من الإمامة[103] ويزعمون أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، على غرار عقيدة النصارى في القول: بالناسوت واللاهوت[104].

والأئمة يعلمون ما كان وما هو كائن ، وأن طاعتهم مفترضة على جميع الناس[105] وقال فريق من الخطابية بعدم موت الأئمة، وأن أحدهم إذا بلغت عبادته رفع إلى الملكوت، ويعتقدون بمعاينة أمواتهم[106] وزعموا أن الدنيا لا تفنى، وأن الجنة هي ما يصيب الناس من الخير، وأن النار ما تصيب الناس من خلاف ذلك[107] ويعتقدون أن أبي الخطاب كان نبيا مرسلا أرسله جعفر الصادق، ثم صيره من الملائكة[108].

والخطابية توسعوا في مذهبهم واستحلوا كل شيء بالإباحة، واستحلوا كل المحرمات – الخمر الزنا، ووضعوا عن أنفسهم الصلاة وبقية التكاليف الشرعية[109] ويستحلون شهادة الزور لمن وافقهم في دينهم من خالفهم في الأموال والدماء والفروج، ويعتبرون دماء مخالفيهم وأموالهم ونساءهم حلال لهم[110] ويعتقدون أن لكل شيء من العبادات باطن، والإمامة كانت في أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أن انتهت إلى جعفر الصادق، وأن روح الإله حلت فيه، ثم في أبي الخطاب من بعده[111] لأنهم يزعمون أن الأئمة آلهة، وأن أبي الخطاب نبي، وأن بعد أبي الخطاب " معمر " وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب[112] والخطابية والراوندية يعتقدون بتناسخ روح الإله في الأئمة، لأنهم يعتقدون أن عليا صار إلها حين حل روح الإله فيه، وكذلك دعوى الخطابية في أبي الخطاب، وكذلك قوم من الراوندية في أبي مسلم، فهؤلاء يقولون بتناسخ روح الإله دون أرواح الناس[113].

وأبي الخطاب كان مقربا من جعفر الصادق، وظل أحد أتباعه المخلصين حتى تبرأ منه جعفر الصادق، لأنه غلا فيه غلواً عظيماً، وكان يعتقد بأن الجنة والنار المذكورتين في القرآن إن هما إلا رجلان وليس لهما معنى خارج وجودنا الأرضي[114] وقد كذب جعفر الصادق أبي الخطاب على رؤوس الأشهاد، وتبرأ عن جميع أعماله علانية، وقد ألقي القبض على أبي الخطاب وتم قتله وصلبه سنة 138هـ وتحول جميع أتباعه إلى الإسماعيلية " محمد بن إسماعيل" وأعلنوا ولائهم له، وكانت فرقة الإسماعيلية هي الخطابية نفسها[115]، وعلى هذا النسق تأثير الخطابية بحضارة فارس، وأخذوا كثيراً من معتقدات الزنادقة الذين ساروا على نهجهم.

2- الراوندية:

فرقة كيسانية، زعمت أن أبا هاشم أوصى بالإمامة لمحمد بن العباس في دمشق، وهذه الفرقة ساهمت بإبعاد الحسنيين ومهدت لقيام العباسيين، وافسحت المجال لوصولهم إلى مركز الخلافة، والراوندية تنتسب إلى أبي الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي[116].

والراوندية الكيسانية انفصلت عن البيت العلوي، ولكن ما زالت هناك بقية منها تؤمن بإمامة محمد بن الحنفية، وكانت الكيسانية تعود كل مرة تفشل ثوراتها على سواد الكوفة، ومن بين الكيسانية ظهر حمدان قرمط، الذي عاود الحركة الإسماعيلية زمناً، ثم انقلب عليها عائداً إلى العقيدة الكيسانية[117] والراوندية من الروافض الحلولية قالت بتناسخ روح الإله في الأئمة بزعمهم، إلى أن صارت في أبي مسلم الخرساني، وهؤلاء الزنادقة يقولون بتناسخ روح الإله دون أرواح الناس[118] والراوندية كانوا من أهل خرسان ومن أتباع أبي مسلم الخرساني، ظهروا سنة مائة وواحد وأربعون إبان حكم الخليفة العباسي المنصور، وكانوا يقولون بالتناسخ والحلول، وأن ربهم هو المنصور الذي يطعمهم ويسقيهم[119] فلما أتوا قصر المنصور قالوا: هذا قصر ربنا، فأخذ المنصور رؤساءهم فحبس منهم مائتين، فغضب أصحابهم وأخذوا نعشاً وحملوا السرير وليس في النعش أحد ومروا به حتى صاروا على باب السجن فرموا النعش وحملوا على الناس ودخلوا السجن وأخرجوا أصحابهم، وتوجهوا نحو المنصور فأحدثوا ضجة بين الناس وأغلقت أبواب المدينة، فخرج إليهم المنصور ماشيا، فأتى بدابّة فركبها وتكاثروا عليه حتى كادوا يقتلونه[120].

فجاء معن بن زائدة لشيباني وكان مستخفيا من المنصور لقتاله مع ابن هبيرة وقد اشتد طلب المنصور له، فجاءه، متلثما ودافع عنه دفاعا قويا، ثم اقترب من المنصور ولجام بغلته في يد الربيع حاجبه وقال تنحَ ذا أنا أحق بهذا اللجام في هذا الوقت فقاتل حتى ظفر بالراوندية[121].

والمنصور أحضر معن بن زائدة وأمّنه ورفع منزلته وأثنى عليه بما كان منه، وأعطاه مكافأة بولاية اليمن[122].

ولقد ظهر المقنع الخراساني في عهد الخليفة المهدي سنة مائة وتسع وخمسين بخراسان وكان زنديقاً أعور، قصيراً من أهل مرو، ويسمى حكيم، اتخذ وجهاً من ذهب فجعله على وجهه، فسمى المقنع، ادعى الإلوهية، وكان يقول إن الله خلق آدم فتحول في صورته، ثم في صورته، ثم في صورة نوح، وهكذا هلم جرا، إلى أبي مسلم الخراساني، ثم إلى هاشم، وهاشم يعني نفسه[123].

قال بالتناسخ والحلول، وتبعه خلق من ضلال الناس، وكانوا يسجدون له من أي ناحية أتاهم، وكانوا يرفعون أصواتهم في الحرب: يا هاشم أعنا، واجتمع إليه خلق كثير، من بخارى وسمرقند والأتراك، وقد أغاروا على أموال المسلمين، وكان يعتقد أن أبا مسلم الخراساني أفضل من النبي صلى الله عليه

وسلم[124].

ومهما يكن من أمر فقد قام الخلفاء بدور هام في محاربة كل تلك الفرق فنجد المهدي يتتبع الزنادقة ويفني منهم كثيرا وقد عين المهدي رجلا عهد إليه تولي أمور الزنادقة وتتبعهم وهو عمر الكلوذاني[125].

3- الخرمية:

الخرمية: هم أتباع بابك الخرمي الذي ظهر في جبال أذربيجان سنة 201هـ واستباح المحرمات وقتل الكثير من المسلمين[126] ويقال أن الخرمية: لفظة عجمية وهي عبارة عما يستلذ ويشتهي وترتاح به الأنفس، فلقبوا به لأن مذهبهم راجع إلى رفع التكليف، وتسليط الناس على اتباع الشهوات من المباحات والمحرمات، وقد كان هذا لقبا للمزدكية وهم أهل الإباحة من المجوس الذين ظهروا في أيام قباذ وأباحوا النساء وأحلوا كل محظور في الشرائع، وكانوا يسمون "خرمدينية" فقلب به الباطنية لمشابهتهم إياهم في المذهب[127].

ويقال لهم البابكية: وهم اسم لطائفة منهم بايعوا رجلاً يسمى بابك الخرمي، الذي استفحل أمره واشتدت شوكته خلال حياة المعتصم، هذه الطائفة التي أدت إلى تمزيق المسلمين إلى حين هبت ريح النصر، واستولى عليهم المعتصم، فصلب بابك ورد أتباعه خاسرين[128] والخرمية صنفان هم: الخرمية الأولى ويسمون بالمحمرة وكانوا يتواجدون بنواحي الجبال، فيما بين أذربيجان وأرمينية والديلم وهمدان، وفيما بين أصفهان وبلاد الأهواز، وهؤلاء هم أهل المجوس والزندقة في الأصل[129].

وأما تسميتهم بالمحمرة: لأنهم صبغوا الثياب بالحمرة أيام بابك وكانت شعارهم.

وأما الصنف الثاني: البابكية التي لم تنته بل بقي جماعة منهم يقال إن لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون السرج والشموع، ويستحلون النساء بالاصطياد، فمن استولى على أي امرأة استحلها لنفسه[130] ويدعون نبوة رجل كان من ملوكهم قبل الإسلام ، يقال له شروين ، ويزعمون أنه كل أفضل من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن سائر الأنبياء قبله[131] وسارت البابكية على ما سار عليه أهل الزندقة من الفرس وغيرهم، لأن بابك الخرمي كان أباه من الزنج، وأمه من بعض بنات الفرس[132] وبابك الخرمي كان يدعي إنه إله، وأحدث في الخرمية القتل والغصب والحروب[133] وكان من أهم مبادئ هذه الفرقة هي: " تأليه البشر، القول بالرجعة، التناسخ، النور والظلمة، وإباحة النساء وكل ما يستلذ وتعظيم أبي مسلم ونسله، والتبرك بالخمور والأشربة، وتحويل الملك من العرب المسلمين إلى الفرس المجوس[134].

والإسماعيلية هم أقرب الناس إلى البابكية في العقيدة والغاية، وأشدهم تعلقا بالمبادئ الإباحية[135].

والفشل الذي مني به بابك وأصحابه في الدولة العباسية، هو عدم قبول النظام الإباحي، الذي أراد بابك أن يدخله في ذلك العصر، ولذلك اقتصروا في نشر دعوتهم على فئة قليلة من الناس الجهلة، في أذربيجان القبلية فقط[136].

وبابك لم يفكر في هدم الإسلام الذي كان مصدر قوة للدولة العباسية، بل كان يعتقد إنه يكفي لنجاح عمله ومعتقده هو هدم النظام المبني على توحيد مصالح أصحاب الأراضي، وإقامة نظام جديد محله[137].

والذي يصح من معتقد الإسماعيلية، إنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلهم إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع[138].

نتائج البحث:

ومما سبق يمكن الخلوص إلى ما يأتي:

- الزندقة مصطلح فارسي يطلق على مذهب القائلين بدوام الدهر من أصحاب زرادشت، والزنادقة هم الذين رفضوا تعليم الأديان الإلهية بحجة تحرير الفكر، والزندقة نوعان: ثنوية ودهرية....
- **من الفرق القديمة للزنادقة:**

1. الزرادشتية: وهي ديانة فارسية قديمة تؤمن بإلهين: النور والظلمة، وتدعي النبو لزرادشت ويميل معتنقوها إلى عبادة المظاهر الطبيعية: "السماء، الضوء، النار، الهواء، الماء"، ويؤمنون أن للعالم إلهين: "هورا مازدا" وهو أصل الخير و"هرمان" وهو أصل الشر، ويعتقدون أن "هورا مازدا" هو الإله الأوحد الذي لم يلد ولن يموت.
2. المانوية: ديانة ظهرت جنوب بابل على يد "ماني" في القرن الثالث الميلادي، وهي خليط من التعليم الزرادشتية والمسيحية واليهودية والبوذية... وتقوم على أساس فكر الثنوية وتَدَّعي تناسخ الأرواح: أرواح الصديقين وأرواح أهل الضلالة.
3. المزدكية: ظهرت في القرن الخامس الميلادي على يد مزدك الذي ادعى لنفسه النبوة ويؤمن بثلاثة أصول للعالم: "الماء، النار، الأرض" ويؤمن بالثنوية واستباحة الأموال والفروج وجعلها شراكة بين الناس ويحرم ذبح الحيوان.

- ظهرت الزندقة قبل الإسلام في بلاد فارس وانتقلت إلى البلاد العربية عبر الحيرة، وقد ظهر تأثيرها في البلاد العربية بعد فتح بلاد فارس والحيرة؛ فقد حنّ البعض ممن اعتنق الإسلام إلى ديانته القديمة، وعملوا على صبغ الإسلام بالصبغة الفارسية الزندقية.
- سميت الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وقد تأثرت بالفلسفة اليونانية وغيرها من

الأفكار والمعتقدات الدينية والفكرية القديمة، لاسيما في بلاد فارس.

- **تأثرت الإسماعيلية بالزندقة في:**

1. الإمامة، حيث يعتبرون الإمام معصوما من الخطأ والنسيان.
2. القول بالحلول وتناسخ الأرواح.
3. يؤمنون بإلهين هما: السابق والتالي"العقل والنفس".
4. استباحة الأموال والنساء والخمر وشهادة الزور والدماء.
5. ادعاء أبي الخطاب النبوة لنفسه وللائمة من بعده..

المراجع والهوامش

(1) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور ت711هـ، 147/10، دار صادر بيروت، 1414هـ.
(2) دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد ، 113/2، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2000م.
(3) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ، تحقيق/ مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ، ص891، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 2005م.
(4) القاموس الفقهي، د/ سعيد أبو حبيب، ص160، دار الفكر دمشق، 1988م.
(5) الصحاح تاج اللغة، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، ت393هـ، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطا، 1489/4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
(6) المعجم الشامل، د/ عبد المنعم الحفني، ص399، مدبولي، القاهرة، 2000م.
(7) فرق الشيعة، الحسن بن موسى النوبختي، ص46، دار الأضواء، بيروت، 1984م.
(8) ضحى الإسلام، أحمد أمين، ص154، مكتبة النهضة المصرية، 1933م.
(9) قواعد عقائد آل محمد، محمد بن الحسن الديلمي، تحقيق، محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ص37، مكتبة اليمن صنعاء ، 1987م.
(10) سورة الجاثية، آية 24.
(11) تاريخ العرب قبل الإسلام، د/ السيد عبد العزيز سالم، 428/1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1967م.
(12) لسان العرب، ابن منظور، 147/10.
(13) دستور العلماء، عبد النبي بن عبد الرسول ، 113/2.
(14) مروج الذهب، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد 250/1، دار الفكر، بيروت، 1973م.
(15) مروج الذهب، المسعودي، 251/1.
(16) مروج الذهب، المسعودي، 251/1.
(17) تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، 346/3، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1999م.
(18) فجر الإسلام، أحمد أمين، ص108، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969م.
(19) المعجم الشامل، د/ عبد المنعم الحفني، ص399.
(20) المعجم الشامل، د/ عبد المنعم الحفني، ص397.
(21) قصة الديانات ، سليمان مظهر، ص282، مكتبة مدبولي 2002م.
(22) قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، ترجمة د/ زكي نجيب محمود ، 424/1، الإدارة الثقافية، بيروت، 1971م.
(23) قصة الديانات ، سليمان مظهر، ص284.
(24) قصة الحضارة، ول ديورانت، 424/1.
(25) قصة الديانات ، سليمان مظهر، ص286.
(26) قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، 425/1.
(27) قصة الديانات ، مظهر سليمان، ص287-304.
(28) قصة الحضارة، ديورانت، 425/1.
(29) قصة الحضارة، ديورانت، 426/1.
(30) مروج الذهب، المسعودي، 229/1.
(31) فجر الإسلام، أحمد أمين، ص101.
(32) المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، د/ مصطفى النشار، ص109، دار قباء، القاهرة، 1997م.
(33) قصة الديانات، سليمان مظهر، ص309.

(34)درجة من درجات رجال الدين الزرادشتي.
(35) مروج الذهب، المسعودي، 230/1.
(36) فجر الإسلام، أحمد أمين، ص99.
(37) العجم الفلسفي، د/ عبد المنعم الحفني، ص245، دار ابن خلدون، بيروت، 1992تم.
(38)الثنوية: هم القائلين بأن النور والظلام أصلان متضادان أزليان هما: يزدان وأهرمان. المعجم الفلسفي، د/ عبد المنعم الحفني، ص70.
(39) النصيرية، دراسة تحليلية، تقي شرف الدين، ص125، بيروت، 1983م.
(40) المعجم الفلسفي، د/ الحفني، ص245.
(41) فجر الإسلام، أحمد أمين، ص104.
(42) الفهرست، ابن النديم، ص458.
(43) فجر الإسلام، أحمد أمين، ص105.
(44) فجر الإسلام، أحمد أمين، ص101.
(45) الفهرست، ابن النديم، ص472.
(46) الفهرست، ابن النديم، ص470.
(47) الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، (ت429هـ) ص254، دار الأفاق، بيروت، 1982م.
(48) الحور العين، أبو سعيد نشوان الحميري (ت573هـ) ، تحقيق كمال مصطفى، ص192، ازال للطباعة والنشر، بيروت، 1985م.
(49) المعجم الفلسفي، د/ الحفني، ص265.
(50) عقائد آل محمد، الديلمي، ص37.
(51) تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، 356/3، دار الكتاب المصري، 1999م.
(52) القرامطة، الإمام عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ) ص31، المكتب الإسلامي، بيروت، 1977م.
(53) الملل والنحل، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (ت548هـ) تحقيق/ محمد سيد كيلاني، 249/1، دار المعرفة، بيروت، 1961م.
(54) الحور العين، الحميري، ص192.
(55) الملل والنحل، الشهرستاني، 249/1.
(56) فجر الإسلام، أحمد أمين، ص109.
(57) الملل والنحل، الشهرستاني، 249/1.
(58) الحور العين، الحميري، ص192.
(59) اليمن في صدر الإسلام، د/ عبد الرحمن الشجاع، ص58-59.
(60) التاريخ الإسلامي العام، د/ علي إبراهيم حسن ، ص168، مكتبة الفلاح، الكويت، 1977م.
(61) حضارة العرب، جوستاف لوبون، ترجمة/ عادل زعيتر، ص182، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1956م.
(62) قصة الحضارة، ديورانت، 281/4.
(63) فجر الإسلام، أحمد أمين، ص111.
(64) تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، 29/2، دار الفكر، بيروت، 1987م.
(65) تاريخ ابن خلدون، 345/3.
(66) تاريخ ابن خلدون، 345/3.
(67) تاريخ ابن خلدون، 346/3.
(68) تاريخ العرب قبل الإسلام، أحمد إبراهيم هبو، ص106، منشورات حلب، 1996م.
(69) مروج الذهب، المسعودي، 85/2.
(70) مروج الذهب، المسعودي، 87/25.

(71) تاريخ العرب قبل الإسلام، د/ السيد عبد العزيز سالم، 151/1.
(72) اليمن قبل الإسلام، محمد الشعيبي، ص311، دار العودة، بيروت، 1987م.
(73) فجر الإسلام، أحمد أمين، ص99.
(74) حقائق الأخبار عن دول البحار، الميرالاي اسمعيل سرهنك ناظر المدارس، 184/1، المطبعة الأميرية سولاق مصر، 1314هـ.
(75) حقائق الأخبار – الميرالاي – 186/1.
(76) الفهرست لابن النديم – ص472.
(77) ضحى الإسلام – أحمد أمين – ص139.
(78) ضحى الإسلام – أحمد أمين – ص140.
(79) الملل والنحل – الشهرستاني – 168/1.
(80) الحركات الباطنية في الإسلام – د/ مصطفى غالب – ص71 – دار الأندلس – بيروت – 1982م.
(81) الإفحام لافئدة الباطنية الطعام – يحيى بن حمزة العلوي (ت745هـ) تحقيق/ فيصل بد يرعون – ص10 – دار المعارف – الاسكندرية – د/ت.
(82) طائفة الإسماعيلية – د/ محمد كامل حسين – ص176 – النهضة المصرية – 1959م.
(83) الحركات الباطنية – د/ مصطفى غالب – ص164.
(84) علاة الشيعة الباطنية – د/ يوسف درويش غوانمة – جمعية عمال المطابع التعاونية – عمان – 1981م.
(85) غلاة الشيعة – د/ يوسف درويش – ص25.
(86) غلاة الشيعة – د/ يوسف درويش – ص18.
(87) الملل والنحل – الشهرستاني – 173/1.
(88) تاريخ الدعوة الإسماعيلية – د/ مصطفى غالب – ص40 – دار الأندلس – بيروت – 1965م.
(89) إثبات الإمامة – أحمد بن ابراهيم النيسابوري – تحقيق د/ مصطفى غالب – ص37 – دار الأندلس – بيروت – 1996م.
(90) تاريخ الدعوى الإسماعيلية – د/ مصطفى غالب – ص41 .
(91) الملل والنحل – الشهرستاني – 173/1.
(92) الفرق بين الفرق – البغدادي – ص278.
(93) الفرق بين الفرق – البغدادي – ص279.
(94) راحة العقل – أحمد حميد الدين الكرماني (ت411هـ) – تحقيق د/ مصطفى غالب – ص346 – دار الأندلس – بيروت – 1983م.
(95) الفرق بني الفرق – البغدادي – ص279.
(96) كنز الولد – ابراهيم بن الحسين الحامدي (ت 557هـ) – تحقيق د/ مصطفى غالب – دار الأندلس – بيروت – 1979م.
(97) راحة العقل – الكرماني – ص35.
(98) طائفة الإسماعيلية – د/ محمد كامل حسين – ص175.
(99) طائفة الإسماعيلية – د/ محمد كامل حسين – ص172.
(100) الأنوار اللطيفة – محمد بن طاهر الحارثي اليماني (ت584هـ) – ص131 – الفاو للنشر والتوزيع – د/ت.
(101) الزرادشتية تاريخا وعقيدة – خالد السيد محمد غانم – ص285 – خطوات للنشر – دمشق – 2005م.
(102) طائفة الإسماعيلية – د/ محمد كامل حسين – ص44.
(103) الملل والنحل – الشهرستاني – 179/1.
(104) فرق الشيعة – النوبختي – ص7
.(105) مقالات الإسلاميين – أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (330هـ) تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد – 77/1– المكبة العصرية – بيروت – 1990م.
(106) مقالات الإسلاميين – الأشعري – 79/1.

(107) الحور العين – الحميري – ص221.
(108) فرق الشيعة – النوبختي – ص71.
(109) مقالات الإسلاميين – الأشعري – 87/1.
(110) الحور العين – الحميري – ص220.
(111) الإمامة في الإسلام – د/ عارف تاهر – ص95.
(112) مقالات الإسلاميين – الاشعري – 77/1-78.
(113) الفرق بين الفرق – البغدادي – ص254-255.
(114) أصول الإسماعيلية والفاطمية – برنارد لويس – راجعة د/ خليل أحمد خليل – ص71 – دار الحداثة – بيروت – 1979م.
(115) أصول الإسماعيلية – برنارد لويس – ص72.
(116) الإمامة في الإسلام – د/ عارف تامر – ص82.
(117) الإفحام – العلوي – ص3.
(118) الفرق بين الفرق – البغدادي – ص255.
(119) الكامل في التاريخ – عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير – 502/5- دار صادر – بيروت – 1982م.
(120) الكامل – ابن الأثير – 502/5.
(121) الكامل – ابن الأثير – 503/5.
(122) الكامل – ابن الأثير – 503/5.
(123) الكامل – ابن الأثير – 38/6.
(124) الكامل – ابن الأثير – 39/6.
(125) الكامل – ابن الأثير – 75/6.
(126) فرق الشيعة – النوبختي – ص47.
(127) عقائد آل محمد – الديلمي – ص37 – القرامطة – الجوزي – ص47.
(128) الإفحام – العلوي – ص23.
(129) الفهرست – ابن النديم – ص479.
(130) القرامطة – الجوزي – ص49.
(131) فضائح الباطنية – ابو حامد الغزالي – تحقيق / عبد الرحمن بدوي – ص15 – الدار القومية – القاهرة – 1964م.
(132) الفهرست – ابن النديم – ص480.
(133) فضائح الباطنية – الغزالي – ص16.
(134) القرامطة – الجوزي – ص47.
(135) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام – بندلي جوزي – ص89- مطبعة بيت القدس – القدس – 1928م.
(136) تاريخ الحركات الفكرية – بندلي جوزي – ص90.
(137) تاريخ الحركات الفكرية – بندلي جوازي – ص90.
(138) الطرق بين الفرق – البغدادي – ص278.